واقع النمو الحضري وانعكاساته المجالية على المدن الكبرى بالجزائر
-حالة مدينة قسنطينة-

The reality of urban growth and its spatial implications for Algeria's major cities Constantine case study

تاريخ الاستلام : 2021/05/18 ؛ تاريخ القبول : 2021/06/09

ملخص

لقد ساهم التركز السكاني الكبير والموقع الممتاز لحي سيدي مبروك السفلي ضمن المجال الحضري القسنطيني ومجموعة من العوامل الأخرى منها اقتصادية واجتماعية وثقافة المجتمع وتهميش المواطن الى انعكاسات خطيرة على النسيج الحضري بالحي وتشويه مظهره العام وانعدام الانسجام والتوازن بين مختلف مركباته (السكن – السكان والمرافق ...) .

ولقد تناولنا في بحثنا هذا دراسة انعكاسات النمو الحضري على النسيج الحضري نظرا لأهميتها البالغة وخاصة في الوقت الراهن ونحن نعيش فوضى مجالية سببها الأول غياب دور المجتمع المدني وغياب سياسة التحفيز من طرف الدولة مما لا يشجع السكان على المشاركة في صناعة قرارات تخص المجال الحضري وبذلك سياسات التنمية الحضرية .

الكلمات المفتاحية: النمو الحضري – سيدي مبروك السفلي – النسيج الحضري – الزيادة السكانية– المشاركة.

*** ربيعة دباش**

1 معهد التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة قسنطينة 03، الجزائر

Abstract

The high concentration of the population and the excellent position of the lower Sidi Mabrouk district in the metropolitan area of Constantine, as well as other main factors, including socio-economic factors, social culture and the marginalization of the citizen in the decision-making as to the space in which we live, have contributed to serious impacts on the urban fabric of the district, the deformation of its general aspect, also the lack of harmony and balance between its various components (habitat - inhabitants and equipment ...)

In our research, we studied the impact of urban growth on the urban fabric, given its critical importance, especially at the moment, because we are living in spatial anarchy, mainly due to the absence of the role of civil society in raising citizens' awareness, their sense of belonging to it and the absence of motivation of the State, that is does not encourage the participation of citizens in decision-making and therefore in urban development.

Keywords: Urban growth – Sidi Mabrouk Lower – urban fabric – natural surplus – participation.

Résumé

La grande concentration de la population et l'excellente position du quartier Sidi Mabrouk inférieur dans la zone métropolitaine de Constantine ainsi que d' autres facteurs principaux entre autres ,les facteurs socio –économiques , culture sociétale et la marginalisation du citoyen dans la prise de décision quant à l'espace dans lequel nous vivons, ont contribué à des répercussions graves sur le tissu urbain du quartier, la déformation de son aspect général ,de même le manque d'harmonie et d'équilibre entre ses différentes composantes (habitat - habitants et équipements ...).

Dans notre recherche, nous avons étudié l'impact de la croissance urbaine sur le tissu urbain, compte tenu de son importance critique, en particulier à l'heure actuelle, car nous vivons une anarchie spatiale, principalement trouvant ses causes dans l'absence du rôle de la société civile dans la sensibilisation des citoyens, leurs sentiment d'appartenance à celui-ci et l'absence d'une politique de motivation de l'État, qu'est n'encourage pas la participation des citoyens à la prise de décision et donc aux politiques de développement urbain

.**Mots clés:** Croissance urbaine – Sidi Mabrouk Inférieur –tissu urbain – excédent naturel – participation

* Corresponding author, e-mail:
debbacherabiaa@yahoo.fr

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2021.

I – مقدمة

تعاني المدن العديد من المشاكل الناجمة عن النمو الحضري و قد تشترك هذه المدن في بعض المشاكل، كما يمكن أن تتباين مشكلات النمو الحضري فيها نظرا لظروف كل منها لتباين خصائصها الطبيعية و الاجتماعية و الاقتصادية، و مع كل هذا التباين فإن هناك نمو مؤثر في السكن ، السكان المرافق و الخدمات، و لعل العديد من هذه المشاكل ليس ناجما عن النمو في حد ذاته بقدر ما هو ناتج عن عدم وجود نموذج من شأنه معالجة أخطار ذلك النمو الحضري و التي كانت من أهم نتائجه:

- التوسع على حساب الأراضي الزراعية ذات الجودة العالية.
- التنافس بين استخدامات الأرض الحضرية نظرا للنمو العشوائي الذي ساعد على أن تفقد بعض الاستخدامات أهميتها، فلم يعد السكن هو مكان السكون و الآمان، فهناك العديد من استخدامات الأرض الأخرى المنافسة له و خاصة تلك الاستخدامات التجارية و الصناعية.
- كثافات سكانية عالية نتج عنها عدم توافق بين النمو العمراني و السكاني في المدينة بمعنى أن المدينة تنمو عمرانيا بوثيرة أقل من نمو السكان فيها.
- النمو العمراني و السكاني في المدينة لم يوازي نمو الخدمات فيها، و نظرا لتخطيطها السيئ فقدت من كفاءتها في تلبية مختلف حاجيات المدينة.
- مشكلة النقل و المرور و خاصة في مركز المدينة.
- المشاكل البيئية الناتجة عن وسائل النقل الحديثة و الضوضاء و النمو الصناعي وامتداداته العشوائية في بعض الأحيان.

مشكلة الإسكان حيث تأخذ هذه المشكلة صورا عديدة فقد تكون هناك مشكلة بين العرض و الطلب على السكن أو مشكلة توزيع المساكن أو عدم توفير مساحات لإقامة مشاريع سكنية، و أكبر مشكلة قد تواجه المدينة نظرا لنمو السكان و العمران فيها هي انحدار مستوى الإسكان في بعض المدن سواء من حيث تخطيط المناطق السكنية أو المساحات اللازمة لكل أسرة و نصيب الفرد منها و معدلات التزاحم والكثافات السكانية غير المحتملة في بعض المناطق السكنية، و في كثير من الأحوال تنمو هذه المدن عشوائيا بدون تخطيط واضح و يصبح بذلك النمو العمراني فيها عبارة عن إضافات عمرانية على النسيج القائم في أي اتجاه و بأي أسلوب.

وهذا ماأدى بنا الى اختيار حي سيدي مبروك السفلي وهو عينة من مدينة قسنطينة من أجل دراسة اشكالية واقع النمو الحضري وانعكاساته المجالية على النسيج الحضري وماهي العوامل التي ساهمت في تشويه مظهره رغم أنه من أقدم الأحياء بالمدينة ؟

وتهدف هذه الدراسة الى ابراز أهم الانعكاسات السلبية للنمو وتأثيرها المباشر وغير المباشر على الحي ومانتج عنها من مشاكل بيئية ، نفسية ، سسيولوجية وأمنية ، كماأبرزنا أن للاهمية الاقليمية والجغرافية لمدينة قسنطينة دور في ذلك وحاولنا البحث عن بدائل علمية وعملية لمعالجة هذه الانعكاسات في ظل غياب قوانين ردعية .

وبما أن هذه الدراسة تنصب على اشكالية النمو الحضري وانعكاساته المجالية على النسيج الحضري وكيفية معالجتها ، كان من الضروري اعطاء صورة عامة عن الوضع القائم لحي سيدي مبروك السفلي ونمو سكانه ضمن المجال الحضري القسنطيني ومعرفة مدى تأثر الحي بالمكانة الاقليمية لمدينة قسنطينة وكيف ساهمت هذه الأخيرة في تفعيل وتيرة النمو الحضري عبره .

كما أشرنا الى أن تهميش المواطن في تسيير واتخاذ مختلف القرارات التي تخص

المجال الحضري الذي يعيش فيه عن طريق مايسمى بالتعمير التشاوري كان سببا في الفوضى المجالية التي يعيشها الحي بصفة خاصة و مدينة قسنطينة بصفة عامة .

أولا : موقع وموضع الحي :

1- موقع الحي ممتاز ومحفز للعيش فيه :

من أجل تحديد موقع حي سيدي مبروك السفلي بصفة دقيقة تمت دراسته من جانبين :

الجانب الأول : موقع الحي بالنسبة للمجال الحضري القسنطيني .

يقع الحي في الجهة الشرقية لمدينة قسنطينة حيث يبعد عن مركزها ب4كم مما جعله **موقعا ممتازا لتوطن السكان به باعتبار أن مركز مدينة قسنطينة هو مركزهاالاداري والتجاري والثقافي...الخ .**

الجانب الثاني : موقع الحي بالنسبة للاحياء المجاورة :

نتبين من خلال الشكل رقم (01) ان حي سيدي مبروك السفلي يقع في الجهة الجنوبية الغربية للقطاع الحضري سيدي مبروك يحده من الشمال حي المنصورة ومن الجنوب شارع بن بعطوش وكذلك حي الصنوبر الذي يفصله عن الطريق الوطني رقم (03) ومن الشرق حي سيدي مبروك العلوي ومن الغرب غابة المنصورة .

يحتل مساحة 87.34 هكتار^1 أي بنسبة **16.57%** من مساحة القطاع الحضري سيدي مبروك والتي تبلغ 533.06 هكتار^2 وبنسبة **1.47%**من مساحة مدينة قسنطينة والتي تبلغ نحو 5920.51 هكتار^3.

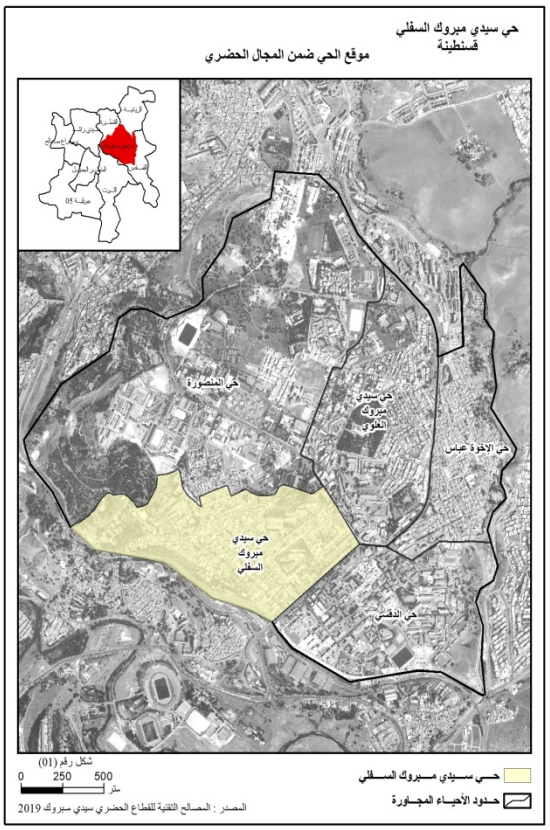

2-أهمية الموقع

- يعتبر حي سيدي مبروك السفلي من الأحياء القديمة والراقية بمدينة قسنطينة حيث يوجد ضمن المحيط العمراني للمدينة .
- تحيط به مجموعة من أهم الأحياء بالمدينة كحي سيدي مبروك العلوي وحي دقسي عبد السلام وحي المنصورة والتي تحتوي على تجهيزات لها مجال نفوذ واسع عبر المجال الولائي القسنطيني كمستشفى التوليد ومستشفى الكلى و الولاية والناحية العسكرية الخامسةومستشفى الاطفال

3- موضع الحي متجانس :

يتبين من خلال الشكل رقم (02) أن موضع حي سيدي مبروك السفلي أراضية منبسطة في معظمها حيث يقع في منطقة تتميز بالتجانس من حيث الارتفاع اذ تصل اعلى نقطة به الى 640 م واخفض نقطة تبلغ 600م وبالتالي متوسط الارتفاع به يصل الى 620 م وفي معظمها أراضي صالحة للتعمير

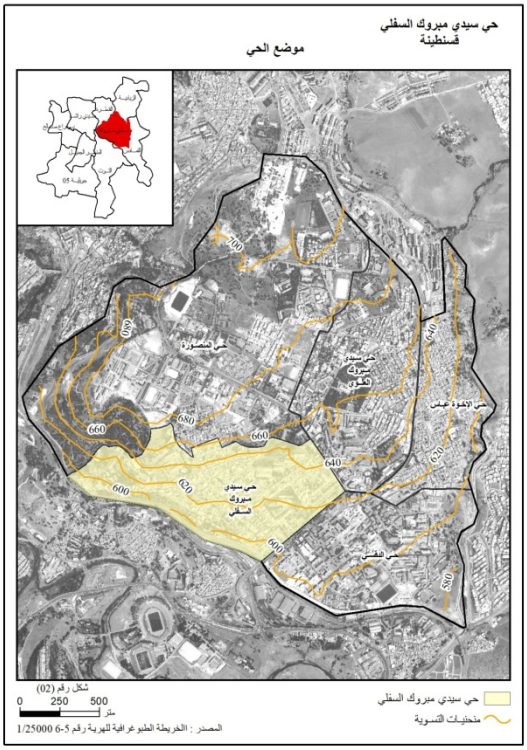

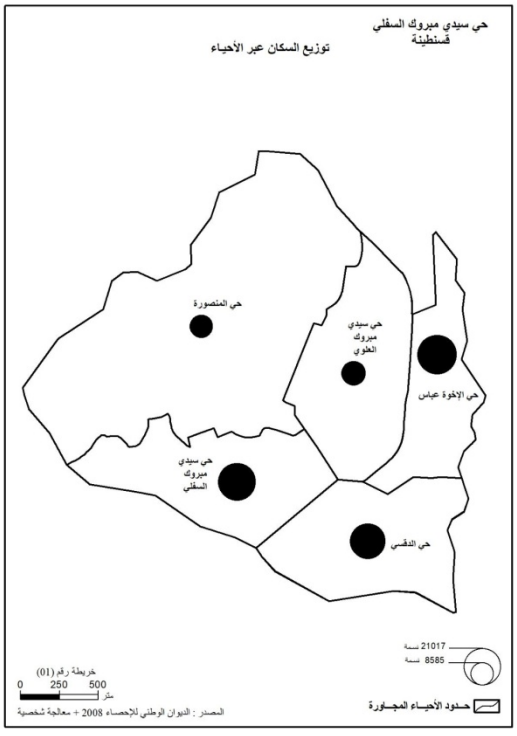

ثانيا : النمو الحضري لحي سيدي مبروك السفلي :

1- النمو السكاني كمؤشر للنمو الحضري :

يعتمد نمو السكان على عاملين أساسين وهما الزيادة الطبيعية للسكان وارتفاع معدلات الهجرة وبغض النظر عن تاثير هذين العاملين فان الفترة الزمنية لتضخم المدينة ونوعها كأن تكون عاصمة دولة أو اقليم له أثر واضح في هذا النمو .

فدراسة السكان من المؤشرات التي تساعدنا على معرفة المستوى الثقافي والاجتماعي بأي مجال حضري وقد اعتمدنا في دراستنا لحي سيدي مبروك السفلي على العناصر التالية :

1-1- تمركز سكاني كبير بحي سيدي مبروك السفلي :

شهد حي سيدي مبروك السفلي نموا متباينا في عدد السكان من حيث الحجم ومعدل النمو اذ بلغ عدد السكان سنة 1987 حوالي 19910نسمة مقابل 20644 نسمة سنة 1998 بزيادة سكانية قدرت بـ734 نسمة وبمعدل نمو 0.33 %4 وهو

مرتفع مقارنة بمعدل نمو القطاع الحضري سيدي مبروك والذي بلغ حوالي 0.16 % في نفس الفترة

ومن تحليلنا للجدول رقم (01) بالملحق ، الذي يوضح حجم السكان ومعدل نموهم يتضح ان هناك نموا مستمرا في عدد سكان القطاع الحضري سيدي مبروك بمختلف احيائه كما نلاحظ ان حي سيدي مبروك السفلي ينفرد بعدد سكاني معتبر خلال مختلف التعدادات (87- 98 و 2008) حيث سجل تقريبا اعلى النسب (بعد حي الاخوة عباس والذي يعتبر حيا شعبيا) مقارنة مع باقي الاحياء بالقطاع وهذا ماتؤكده الخريطة رقم (01) ،ونرجع ذلك الى كون الحي قريب من مركز المدينة بالاضافة الى انه حي سكني بالدرجة الاولى ، ضف الى ذلك نمط المساكن الذي كان متواجد به في هذه الفترة وهو الاكواخ القصديرية في الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الغربية وكذلك نمط الفوضوي الصلب في الجهة الشمالية الغربية كذلك .

1-2 - الزيادات السكانية عبر مجال الدراسة :

سيتم من خلال هذا العنصر البحث عن طبيعة الزيادات السكانية المسجلة عبر الحي عن طريق حساب الزيادة الطبيعية وصافي الهجرة والمقارنة بينهما في فترتين مختلفتين ومهمتين وهما فترة مابين (1987 – 1998) و (1998 -2008) وهذا بالاعتماد على معدلات النمو الحضرية الوطنية والمقدرة ب (3.75 % و 2.57 %)[5] على التوالي حيث يتبين ان نمو سكان حي سيدي مبروك السفلي يرجع بالدرجة الاولى الى الزيادة الطبيعية للسكان والتي قدرت ب (5963 نسمة و 9375 نسمة)[6]، كما نلاحظ ان الحي وخلال هتين الفترتين قد شهد وباستمرار صافي هجرة بقيم سالبة قدرت على التوالي ب (-6275 نسمة و -8641 نسمة)بمعدل صافي هجرة وصل الى -30.86% و -41.86% اي هجرة مغادرة ، ويمكن تفسير القيم السالبة لصافي الهجرة بكون حي سيدي مبروك السفلي من الاحياء القديمة للمدينة والتي شهدت نموا متزايدا ومستمرا جعلها تستنفد طاقتها المجالية الداخلية من اجل توطين مختلف المرافق ولتلبية متطلبات نموها حيث عرفت مدينة قسنطينة نموا عمرانيا كبيرا ومتسارعا باحتلالها الجيوب الشاغرة وتوطين البناء الفردي الجاهز عبر كل من حي الاخوة فراد وحي القماص وبوذراع صالح كما ظهرت المناطق الحضرية الجديدة بحي بوالصوف وجبل الوحش حيث شهد الحي وكغيره من احياء المدينة تشبع المجال الحضري وتوسعه عبر تجمعات حديثة النشاة في مرحلة اولى عبر المدن التوابع لمدينة قسنطينة في مرحلة ثانية ثم المدينة الجديدة والتي استوعبت الفائض السكاني لمدينة قسنطينة بمختلف احيائها بانجاز عدد كبير من المساكن لحل ازمة السكن واعادة الاعتبار للمدينة الام كونها عاصمة للشرق الجزائري ومركزه الاداري والعسكري والثقافي والاجتماعي ...الخ

2- النمو المجالي واتجاهاته عبر الحي:

مر حي سيدي مبروك السفلي بمراحل عدة شهد خلالها نموا عمرانيا متواصلا وهذا ما يوضحه الشكل رقم (03) واهم هذه المراحل هي :

المرحلة الاولى : قبل 1920

تعرف هذه المرحلة بمرحلة خروج مدينة قسنطينة من السور، ونتيجة زيادة عدد السكان خاصة منهم الاوربيين عمدت السلطات الفرنسية لاقامة احياء جديدة كحي قاليفي بالمنصورة وحي الكدية وحي القديس جان وحي القنطرة وسيدي مسيد كما ظهرت مجموعة من المنشات القاعدية وبعض التجهيزات ، أما فيما يخص حي سيدي مبروك السفلي لم يظهر منه الا المستودعات[7]والتي تتواجد بالجهة الجنوبية للحي

المرحلة الثانية:1920-1937 (بداية توجيه النمو الحضري نحو حي سيدي مبروك

السفلي)
وهي مرحلة ازدهار مدينة قسنطينة حيث عرفت نموا ملحوظا في مختلف الوظائف واصبحت مساحتها 239 هكتار[8] أما عدد سكانها فقد بلغ 11400ساكن[9] كما ظهر حي سيدي مبروك بشقيه الاعلى والاسفل وهما من أهم أحياء تلك الفترة حيث خصص الشق السفلي للسكن العسكري والأوربيين وبعض اليهود وتميزت المباني بطابعها المعماري الاوربي وطرقه الواسعة والمنظمة .

المرحلة الثالثة :1938-1960 (بداية النمو الفوضوي بالحي)
شهدت هذه المرحلة قيام كل من الحرب العالمية الثانية والحرب التحريرية والتي اثرتا سلبا على المحيط العمراني حيث ادي انشغال السلطات الفرنسية بالحرب الى ظهور مجموعة من المساكن الفوضوية في الجهة الشمالية الغربية والجنوبية للحي وهذا نتيجة للنمو العشوائي الناتج عن النزوح الريفي والذي كان نتيجة ارتفاع عدد النازحين من الارياف والقرى بحثا عن الامن والاستقرار كما ان السلطات الفرنسية واصلت العمل على توفير السكن للاوربيين وفقا لمخطط كاراكاس بتاريخ 17 مارس

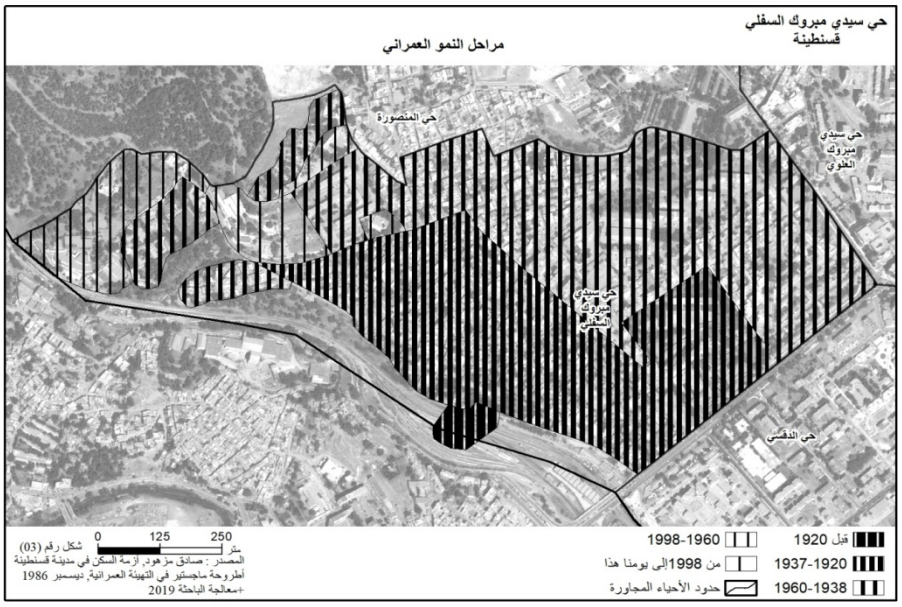

1953 والقاضي ببناء 2579مسكن[10] مع التخطيط للمساحات الخضراء والساحات العمومية بالحي .

المرحلة الرابعة :(استمرار النمو الفوضوي) 1960- 1998
تميزت هذه المرحلة باستمرار التدفقات السكانية نحو مدينة قسنطينة نتيجة خروج المعمرين وبالتالي استمرار ظهور البيوت القصديرية والاحياء الفوضوية حيث انتشرت فوق الاراضي التي كانت ملك للمعمرين كما واجهت الدولة الجزائرية حركة كبيرة للتحضر والذي ادى الى اختلال في التوازن ونتج عنه تحضر عشوائي فمع تزايد عدد السكان نتيجة التدفقات السكانية الهائلة من الريف الى مدينة قسنطينة وفي ظل انعدام سياسة تهيئة رشيدة تفاقمت المباني العشوائية ، كما واصلت الدولة المشاريع التي كانت موجهة للاسكان الجزائريين والتي تدخل ضمن مشروع قسنطينة بمختلف احياء المدينة .

المرحلة الخامسة: 1998- الى يومنا هذا (عدم قدرة الحي على التوسع)
في هذه المرحلة والتي تقسم الى مرحلتين :

اولها : أصبح الحي غير قادر على النمو أو التوسع مستقبلا نظرا لتشبع كلي للمجال فكل المشاريع السكنية أوالمرافق وجهت الى الأحياء الجديدة بالقطاع الحضري سيدي مبروك كحي دقسي عبد السلام معدا متوسطة في الجهة الشمالية والإقامة الجامعية تتوسط الحي ومسجد الفتح .

ثانيا : أما بعد سنة 2000 شهد الحي تغيرات مجالية في النسيج القائم إما بادخال تغيير على الفيلا الأوربية بهدمها واعادة بنائها من جديد أوعن طريق التدخل عليها والبناء في الحديقة أو اضافة طوابق متعددة أو تغيير من شكلها المرفولوجي حيث وصل معامل اشغال الارض الى اكثر من 2,3 ومعامل الاستلاء الى 100% [11]وقد ظهرت بذلك انماط جديدة تلبي حاجة السكان الاقتصادية والاجتماعية .

كما عرف الحي في هذه المرحلة معدلات نمو منخفضة كما اشرنا لها سابقا ونرجع سبب ذلك الى التفريغ السكاني الطوعي عن طريق ازالة البيوت القصديرية والفوضوي الصلب ونقل قاطنيها الى المدينة الجديدة علي منجلي ومدينة ماسينيسا ببلدية الخروب وهذا في اطار سياسة اعادة الاعتبار للمدن المتروبولية ومنها عاصمة الشرق الجزائري قسنطينة بمختلف أحيائها.

ثالثا: انعكاسات النمو الحضري على الحي :

1- احتلال الوظيفة التجارية والادارية مكان الوظيفة السكنية

ان لعامل سهولة الوصول تاثير واضح على سعر الارض فالمواضع التي تتصف بسهولة الوصول يكون لها سعر أعلى مقارنة بالمواضع الاخرى حيث تكون هذه مواضع مركزية بالمدينة اذ يعتبر استخدام الارض التجاري والصناعي (صناعات خفيفة) احسن من الاستخدامات السكنية لانها تدفع اجارات عالية وغالبا ماتحتل المواضع المركزية وتطرد بذلك الاستخدامات السكنية الى الاطراف .

وقد ساهم الموقع الممتاز الذي يتمتع به حي سيدي مبروك السفلي بقربه من مركز مدينة قسنطينة ومن أهم الاحياء بها والتي تحتوي على تجهيزات ذات مجال نفوذ واسع عبر المجال الولائي القسنطيني الى احتلال الوظيفة التجارية مكان الوظيفة السكنية لان الحي يتمتع بسهولة الوصول النسبية لجميع السكان سواء سكان المدينة أو المدن المجاورة .

فقد شهد الحي في الآونة الأخيرة ظاهرة تحويل الفيلا الأوربية الى ادارات وبنوك ومدارس خاصة وتجارة الجملة تتميز هذه المباني بعلو كبير يصل الى خمسة طوابق ومساحة استلاء تصل في غالب الاحيان الى 100%من مساحة القطعة الارضية كما تظهره الصورة رقم(01) كانت نتيجة لتخلي السكان الأصليين عن مساكنهم مقابل مبالغ خيالية [12].

2- تدهور الجانب البيئي :

حي سيدي مبروك من أهم وأرقى الأحياء بالمدينة يعاني من عدة اشكاليات لها خاصية محلية بأبعاد اجتماعيةاقتصادية واخرى تتعلق بسوء التسييروالتهاون واللامبالاة من طرف السكان الذين ساهموا بقدر كبير في عدم التنظيم المجالي له

حيث يعتمد هؤلاء على المندوبية الحضرية في حل مشاكلهم ولايقومون بمبادرات لتحسين ظروف حياتهم ولا يهتمون بمظهر الحي عن طريق انشاء جمعيات أحياء وحتى ان وجدت فهي توجه لأغراض أخرى كاعانة المعوزين في مختلف المواسم وحتى السلطات المختصة في التسييرالمجالي لا تشاركهم في تنظيم وتسيير حيهم والذي ادى الى عدم اهتمامهم به .

فبرغم ان الحي هو من اقدم وارقى الاحياء يلفت انتباهك تلك القمامات المترامية هنا وهناك أنظر الصورتين رقم (02) و(03) ، ضف الى ذلك عدم احترام شروط النظافة قدم الشبكات التقنية وردائتها والتي أصبحت كلها من مميزات هذا الحي حيث أعطته صورة غير لائقة

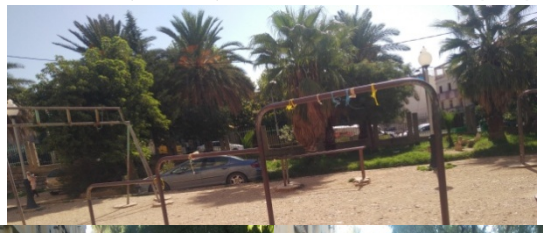

3- نقص المساحات الخضراء والعمومية وعدم تهيئتها :

ساهم النمو الحضري الكبير الذي شهدته مدينة قسنطينة عامة وحي سيدي مبروك السفلي خاصة الى نقص كبير في المساحات الخضراء سواء تلك المخصصة للاحياء وعدم تهيئتها ان وجدت أو رمي الردوم والأوساخ بها انظر الصورتين رقم (04) ،(05) أو تلك الحدائق التي تدخل في تكوين المسكن وهذا ببنائها والتوسع فيها نظرا للمشاكل العائلية عادة .

كما أن المساحات العمومية خاصة الأرصفة استعملت من طرف السكان لوضع البضائع التجارية أو رمي الردوم المتبقية عن اشغال البناء أو تهيئة المنازل أو احتلالها عن طريق غرس الأشجار.

كما يوجد بالحي حديقة عمومية واحدة بالجهة الجنوبية للحي وهي موروثة عن الاستعمار الفرنسي غير مهيئة ولا تحتوي على اي تجهيز او مساحات خضراء أو اشجار مساحتها 2231.81م^2. [13] بنسبة 0.25% من المساحة الاجمالية للحي .

4- غياب أماكن لعب الاطفال

يعاني الحي نظرا للنمو السكاني المتزايد الذي شهده طيلة الأعوام السابقة انعدام أماكن لعب الأطفال وعدم تهيئتها ان وجدت حيث يشتكي السكان من عدم تهيئتها اذ أصبحت تشكل خطرا على أطفال الحي وتتواجد في بعض الأحياء الموروثة عن الاستعمار الفرنسي والصور رقم (06) توضح ذلك.

أماباقي أطفال الحي وخاصة الأحياء الفوضوية يلجؤون الى اللعب في الشارع والطرقات أنظر الصور رقم(07) ،(08) .

كما تنعدم بالحي أماكن الترفيه كالنوادي التي يمكن أن يمارس فيها الشباب هواياتهم مما أدى الى انتشار ظاهرة العنف والآفات الاجتماعية بالمجتمع والصورة رقم(09).

5- التلوث البصري :

عرف حي سيدي مبروك السفلي تعميرا عشوائيا عن طريق التحولات التي أدخلت حديثا على المباني مما أدى الى احداث تشويه للصورة البصرية بسبب انعدام القيم الجمالية في الانشاء وبذلك افقدتها طابعها العمراني والمعماري الجميل ويرجع ذلك لانعدام ثقافة عمرانية وبيئية لدى مواطنيها واعتمادهم على أساليب وطرق خارجة

عن اطار قوانين التعمير وهذا لتلبية حاجياتهم من السكن ، كذلك للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية دورا كبيرا حيث ساهمت بقدر كبير في هذا التلوث البصري نذكر منها التباين في العلو حيث انتشرت هذه الظاهرة ابتداءا من 2010 من خلال تحولات وظيفية متعددة عن طريق احتلال الوظيفة التجارية والادارية خاصة للوظيفة السكنية عن طريق مباني ضخمة ذات نمط معماري حديث بها عدة طوابق تحتل القطعة كاملة أنظر الصورة رقم (10)، وهي لا تحترم المخططات التي جاءت في رخصة البناء ، جاءت نتيجة تخلي السكان الأصليين للحي عن الفيلا الأوربية وبيعها بأسعارخيالية حيث ساهم التوسع الأفقي بشكل كبير في تشويه مظهر الحي ونتج عنه عدة مشاكل كحجب الرؤية والشمس عن الجيران وظهور الرطوبة والأمراض التنفسية الناتجة عنها ، بالاضافة الى مشاكل بين الجيران وصلت الى المحاكم ضف الى ذلك قدم المباني وعدم صيانتها واهمالها انظر الصوررقم (11) مما يؤدي الى انخفاض العمر الافتراضي للمبنى[14]

كما أن التغيرات التي يتعرض لها المسكن عن طريق اضافة أو حذف بعض التفاصيل التي تجعل من المسكن مغايرا لما هو موجود في رخصة البناء وبذلك تظهر انماط غريبة الشكل تلبي حاجيات السكان تبعا لظروفهم الاقتصادية والاجتماعية فالمشاكل العائلية من شجارات وارث ،أزمة السكن والبطالة من ضمن الأولويات لهذا التغيير عن طريق احداث فتحات أو غلق منافذ أو بناء حائط أو أن يقوم بتهديم ، حائط اسناد داخلي دون ادراك للخطر الناتج عنها ، كما أن عدم تجديد المباني عن طريق اعادة دهنها أعطت مظهرا غير لائق للحي والصورة رقم (12) توضح ذلك

رابعا : النتائج والتوصيات :

* من خلال عرضنا لواقع النمو الحضري وانعكاساته على النسيج الحضري لحي سيدي مبروك السفلي والتي اعطت صورة غير لائقة له ضمن المجال الحضري القسنطيني والتي كان من أهم أسبابها النمو السكاني المتزايد سواء عن طريق الزيادة السكانية الناتجة عن الزيادة الطبيعية مواليد ووفيات أو الناتجة عن الهجرة والذي صاحبه ارتفاع كبير في عدد الطالبين للسكن وبذلك انتشار الأكواخ القصديرية والبناء الفوضوي الصلب وما نتج عنها من فوضى مجالية ، كما أن عدم وجود ثقافة عمرانية لدى المواطنين بالحي وعدم ادراكهم وفهمهم الجيد لحقوقهم وواجباتهم بالاضافة الى عدم اشراك هؤلاء في تسيير المجال الحضري الذي يعيشون فيه ، أدت الى عدم اهتمامهم بالحي ، كما أن غياب دور المجتمع المدني في توعية المواطنين والوصول الى تنمية مستدامة عن طريق مشاركتهم في صناعة القرار وبذلك الاقتناع بمختلف

القوانين المنظمة للعملية العمرانية وتطبيقها ، فكل هذه الاسباب أدت الى نمو الشعور باللامبالاة تجاه المجال الحضري وساهمت بقدر كبير في حدوث انعكاسات خطيرة للنمو الحضري وكانت سببا في حدوث فوضى مجالية ، ولمعالجة تلك الظواهر السلبية والتي كانت سببا في تدهور الحي كان **لابد من** و **اتاحة الفرصة للمجتمع للقيام بدور فعال و مشاركة السكان في جميع مراحل عملية التنمية** ، بكل من الجوانب العمرانية والادارية والاجتماعية والاقتصادية **من حيث اتخاذ القرار، التخطيط ، التنفيذ ، المتابعة و التقييم** [15]**في كل القرارات ويصبحون بذلك فاعلين حقيقيين** [16]**في** تحقيق التنمية الحضرية المستدامة ، ولهذا وجدت ثلاثة مراحل رئيسية وهى كما يلى:

1- البدء ومنح السلطة [17]**:**

وتعتبر الخطوة الأولى لبداية دخول المجتمع كطرف فعال فى عمليات التنمية الحضرية، ويجب أن تتوجه مجهودات الأطراف الممكنة بشكل مقنع إلى المجتمع، وتعرف السكان على سلبيات ببيئتهم ، ويكون هذا بمثابة حافز وثقة في نجاح عمليات التنمية الحضرية .

2- **تنظيم المجتمع** [18]**:**

تمثل في تشكيل جهات وسيطة تشمل المنظمات غير الحكومية والجمعيات المعتمدة على المجتمع تعمل على تنسيق أعمال التنمية والتطوير مع السكان أنفسهم ،وكيفية توجيههم وتدريبهم بطريقة فعالة لتطبيق خطة التنمية بنجاح ، وذلك من خلال :

- تصميم جدول لتحديد ايجابيات وسلبيات البيئة المحلية المدروسة ومناقشتها مع السكان ، ومن ثم التشجيع على كيفية التفكير في ايجاد حلول للسلبيات .
- تنسيق الجدول وتصميمه بطريقة تساعد أعضاء المنظمة على التعرف على احتياجات السكان .
- يعمل أعضاء المنظمة على تشكيل المعلومات التي تم جمعها في المرحلة السابقة في صورة عرض لمناقشة الملاحظات والاقتراحات .

3- مرحلة الاستمرارية / تواصل تنمية المجتمع:

تتمثل في التعرف على نقاط القصور ومعالجتها ، وتقييم الحلول مرة أخرى في صورة عرض وفقا لاحتياجات المجتمع وبناءا على اقتراحاته ، وبذك يمكنه أن يعالج سلبيات بيئته باستمرار ، مع توجيه واشراف المنظمات الوسيطة ، ومن جهة أخرى يجب تقييم هذه العملية ، لكى تثبت مدى قدرتها على التواصل والاستدامة البيئية (متوافقة مع البيئة العمرانية)، الاستدامة الاجتماعية (تحقيق الاحتياجات دون التأثير على الأجيال المستقبلية)، الاستدامة الاقتصادية (الإنتاجية، خفض التكلفة). وبالتالي، تعنى هذه المرحلة استمرار تطبيق القطاعات المجتمعية لعملها مع إشراف الحكومة والمخططين. [19]

وكمثال على ذلك **تجربة مجاورة ستانمور –مدينة ونشستر –انجلترا:**

- **التعريف بالمنطقة** :

هى أحدى مجاورات مدينة ونشستر بإنجلترا وقد تم اختيارها لتكون جزء من أحد مشاريع التنمية الحضرية والتي تعتمد على فكر تمكين المجتمع من تحسين مجالهم

الحضري ، و الهدف الرئيسى لها هو تحقيق التنمية الحضرية المستدامة، أما الهدف الثانوي فهو عمل أجندة للمجتمع بغرض تنميةالبيئة الحضرية ، وقد تم العمل من خلال ثلاثة محاور رئيسية موضحة بالشكل رقم (01).

4- مبادئ تفعيل مشاركة المجتمع المدني :

1- المشاركة عن طريق الاعلام :

قد تكون مشاركة المجتمع المدني عن طريق المشاركة بالاعلام حيث يعتبر أولى أنماط التعمير التشاوري وهذا عن طريق اعلام وتوعية السكان بمختلف المشاريع التي تخص المجال الحضري فتوفر المعلومة ووجود اشهار وكذلك الجمعيات التي من شأنها أن توضح للمواطن كل التطورات التي تخص الحي حيث تساهم هذه الأخيرة في احترام القوانين والمساهمة في المحافظة على الحي وتطويره .

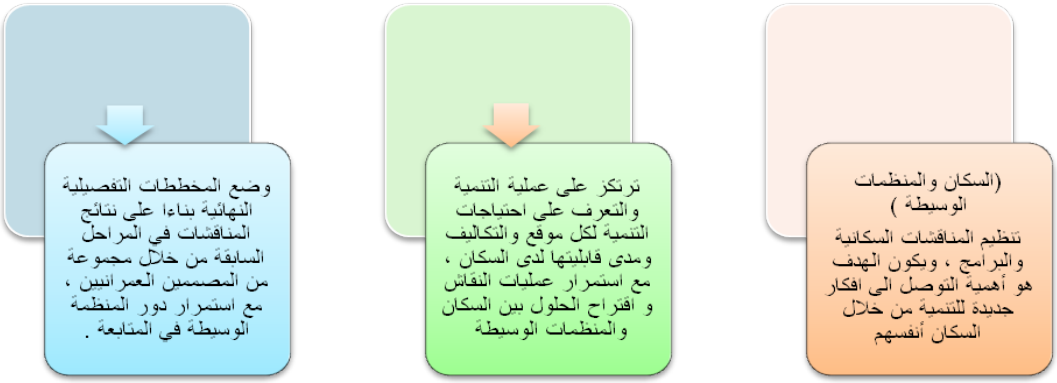

2 -المشاركة بالاستشارة :

حيث تساهم بشكل واضح في ابداء رأي السكان وملاحظاتهم في مختلف المشاريع الحضرية الموجهة للحي أو للمدينة عامة وقد تتم هذه الاستشارة عادة عن طريق استمارات تملا من طرف المواطنين أو مايسمى بالاستقصاء العمومي والذي يلعب دور كبير في معرفة رغبات السكان وحاجاتهم ويأخذ أشكال متعددة منها الرسائل القصيرة أو عن طريق الايمايل أو مواقع التواصل الاجتماعي.

3- المشاركة بالمشاورة :

تكون عن طريق اشراك المواطن في صناعة القرار وذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الأحزاب والجمعيات والحريات العامة والانتخاب[20]

وتتمثل المشاركة بالمشاورة في اعداد وتنفيذ البرامج التنموية وهذا بالتواصل مع جميع الفاعلين (دولة – قطاع خاص –ومجتمع مدني).

* ومن خلال زيارتنا المتعددة للحي لاحظنا تدهور كبير في الجانب البيئي والذي صاحبته أضرار كبيرة على صحة السكان بظهور الحشرات والجردان.

فرغم وجود حملات التحسيس البيئي للسكان بهدف توعية المواطن بأهمية محيطه واقناعه بمسؤوليته تجاهه وهذا عن طريق وضع لافتات اشهارية والتحسيس المتواصل عبر مختلف المرافق التعليمية كالجامعة وتوعية الاطفال في المدارس من خلال مختصين في الميدان وعبر الاذاعة المحلية والتلفزة وتوزيع المناشير و القيام بحملات نظافة عبر مختلف الاحياء والصور رقم (13)،(14)، توضح ذلك .

à23h2010-20/ Source : annasronline.com

الا أنها تبقى غير كافية نظرا لثقافة المواطن حيث لاحظنا رمي القمامات خارج المكان المخصص لها رغم وجوده انظر الصورة رقم (15) .

الصورة رقم(15)

فغياب جمعيات الأحياء التي تحفز هؤلاء المواطنين وتوعيهم بضرورة تنظيف الحي وتنظيم مسابقات بين النطاقات العمرانية بالتعاون مع المندوبية الحضرية للقطاع الحضري سيدي مبروك ومديرية البيئة بحيث تكون هناك جائزة أنظف حي ، فالجمعيات عادة ان وجدت يكون نشاطها في الجانب الاجتماعي ككفة رمضان أو في الدخول المدرسي ، كما أن وعدم وجود قوانين ردعية تعاقب كل من يساهم في تدهور الجانب البيئي بالمدينة عامة ساهمت في وجود وضع كارثي بالحي .

* أما فيما يخص المساحات الخضراء لابد من تهيئتها والحفاظ عليها حيث تشكل عنصرا مهما في حياة الانسان لما توفره من تلطيف للجو والراحة والترفيه لسكان المدينة كما تساعدعلى حماية البيئة والحد من التلوث الجوي ومكافحة انجراف التربة والانزلاقات الارضية كما تعطي مظهرا جميلا للمجال الحضري ، فالاهتمام بالمساحات الخضراء لدليل على الذوق وثقافة المواطن الحضارية والبيئية.

IV -الخلاصة:

تناولت هذه الورقة البحثية واقع النموالحضري وانعكاساته المجالية على المدن الكبرى بالجزائر دراسة حالة مدينة قسنطينة وتناولنا بالدراسة حي سيدي مبروك السفلي وهو من الأحياء القديمة والراقية بالمدينة والذي شهد نموا سكانيا متواصلا منذ نشاته، فواقع النمو الحضري بهذا الحي تحكمه عدة عوامل منها موقعه الممتاز ضمن المحيط العمراني لمدينة قسنطينة واتصاله بأهم الأحياء بالمدينة والتي تحتوي على مجموعة من التجهيزات ذات مجال نفوذ واسع عبر المجال الولائي القسنطيني كالولاية

ومستشفى الكلى والتوليد وغيرها...
وقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن الحي ينفرد بعدد سكاني معتبر خلال مختلف التعدادات مقارنة بباقي أحياء القطاع الحضري سيدي مبروك **والناتجة عن التطور الحضري المتسارع والنزوح الريفي الكبير الذي شهدته مدينة قسنطينة عامة والحي خاصة خلال الفترة الاستعمارية وفترة الاستقلال والتي نتج عنها ظهور بناء عشوائي سواء كان صلب أو أكواخ قصديرية واكبها ضغط متزايد للسكان على المرافق الموجودة وخلق مجال متشبع واستهلاك المساحات الشاغرة داخل الحي** مما أدى الى فوضى مجالية وعدم التنظيم وكذلك انعدام التوازن بين السكن والسكان والمرافق بالاضافة الى انعدام أماكن لعب الأطفال ونقص المساحات الخضراء والتعدي على النسيج العمراني باحتلال الوظيفة التجارية للوظيفة السكنية وهذا عن طريق تحويل الفيلا الأوربية الى مباني ضخمة وادخال تعديلات على المباني شوهت المظهر العام للحي والأخطر من هذا تدهور الجانب البيئي .
كما توصلنا من خلال بحثنا هذا الى ان انعكاسات النمو الحضري بالحي لم تكن بسبب العدد السكاني المعتبر لكن هناك عدة أسباب أخرى ساهمت في تفاقم تلك الانعكاسات **فعدم وجود ثقافة عمرانية لدى المواطنين وعدم اشراكهم في تسيير وتنظيم المجال الذي يعيشون فيه وغياب دور المجتمع المدني في توعيةسكان الحي وعدم شعورهم بالانتماء وغياب سياسة التحفيز من طرف الدولة مما لايشجع السكان على المشاركة في صناعة القرار وبذلك سياسات التنمية الحضرية ، أدت كلها الى نمو الشعور باللامبالاة وعدم الاهتمام بتحسين الحي الذي يعيشون فيه .**
وقد شملت هذه الدراسة بعض البدائل العلمية والعملية والتي قد تسهم في النهوض بهذا الحي ولو بجزء بسيط ومنها الحفاظ على الجانب البيئي نظرا لأهميته البالغة عن طريق توعية المواطنين بأهمية محيطه واقناعه بمسؤوليته تجاهه وتهيئة المساحات الخضراء نظرا لأهميتها في تلطيف الجو والراحة والترفيه للسكان ، كما تعطي مظهرا جميلا للمجال الحضري .
العمل بمبادئ الحكامة الحضرية الرشيدة وضرورة تطبيق ماجاءت به قوانين التعمير واعطاء الفرصة للمواطن للتعبير عن رأيه ومشاركته في تسيير الحي وبذلك الانتقال من **تعمير كلاسيكي ساهم بقدر كبير في تواجد الحي بهذا الشكل كونه لا يعتمد على مبادئ الحكامة الحضرية الرشيدة الى تعمير تشاوري وتشاركي توفر له كل الامكانيات لتسيير رشيد يتجاوز كل العقبات يشارك فيه كل الفاعلين يعمل بمبادئ الحكامة الحضرية الرشيدة منها الشراكة ، المشاركة ، المشاورة والمفاوضة .**

الملاحق :

جدول رقم (01) : نمو وتطور السكان عبر القطاع الحضري سيدي مبروك .

اسم الحي	عدد سكان 1987(نسمة)	عدد سكان 1998(نسمة)	عدد سكان 2008(نسمة)	معدل النمو (87-98) %	معدل النمو (98 – 2008) %
سيدي مبروك العلوي	7900	9557	8585	1.92	0.97-
سيدي مبروك	19910	20644	20332	0.33	0.15-

السفلي					
المنصورة	9981	6890	7786	3.64-	1.12
دقسي	23337	21934	18599	0.62-	1.49-
الاخوة عباس	17189	20672	21017	1.86	0.15
المجموع	78317	79697	76319	0.16	0.39-

المصدر :أنجزت بالاعتماد على معطيات الديوان الوطني للاحصاء (1987-1998-2008).

الهوامش و المراجع :

[1] مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير 2008
[2] المرجع الذي سبق ذكره .
[3] المرجع الذي سبق ذكره .
[4] يحسب معدل النمو بالطريقة التالية :

$$ر = \sqrt[ن]{\frac{س1}{س2}} - 1 \times 100$$ حيث : ر = معدل النمو السنوي للسكان

س 1 = عدد السكان سنة 1998

س 2 = عدد السكان سنة 1987

ن = الفارق في السنوات

$$ر = \sqrt[11]{\frac{س120644}{س199102}} - 1 \times 100 = \%0.33$$

[5] الديوان الوطني للاحصاء 2008.
[6] الزيادة الطبيعية = السكان النظريين للتعداد الحالي (Pop' 2008) – السكان الحقيقيين للتعداد السابق (Pop 1998) لنفس التجمع
- صافي الهجرة = السكان الحقيقيين للتعداد الحالي (Pop 2008) – السكان النظريين لنفس التعداد (Pop' 2008)

ومنه.
- السكان النظريين (Pop' 2008) =سكان 1998 × (1 + معدل النمو الحضري الوطني للفترة (1998-2008))ن ومنه
- السكان النظريين (Pop' 2008) =20644(1+0.0257)[10]
- السكان النظريين (Pop' 2008) =26607نسمة

الزيادة الطبيعية = 26604-20332 =5963نسمة.

[7] الصادق مزهود :ازمة السكن بمدينة قسنطينة ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التهيئة العمرانية ، معهد علوم الارض ، قسم التهيئة العمرانية ، جامعة قسنطينة 2 ديسمبر 1986، ص 15.
[8] المرجع الذي سبق ذكره ص26.
[9] المرجع الذي سبق ذكره ص 27.
[10] المرجع الذي سبق ذكره ص29.
[11] تحقيق ميداني ديسمبر2020.
[12] تحقيق ميداني ديسمبر2020
[13] تحقيق ميداني ديسمبر2020
[14] منار حسني عبد الصبور ، صيانة المنشآت السكنية بجمهورية مصر العربية بين الواقع والمأمول ، دكتوراه

الفلسفة في الهندسة المدنية (انشاءات) الباب الخامس ، 2008-2009ص 285.

[15] د. طارق بركات: **استخدام التقنيات التحليلية المتقدمة في التخطيط الحضري الإمكانات و المعوقات،** مقال منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية، سلسلة العلوم الهندسية المجلدة 3 العدد 05، 2014، ص8 6.

[16] Bouzahzah Nadia et autre ; « la participation des habitants de la ville Algérienne du discourt …à l'acte! , colloque inter national Biskra Architecture and Sustainability Conférence , Université Mohamed Khider , 8-10/04/2008 ,p 499-458 [16]

[17] د-ريمان محمد ريحان حسين ، د.غادة محمد ريحان حسن ، دور المجتمع في تحقيق التنمية العمرانية المستدامة – التمكين المستدام كمدخل لدراسة احد ، التجارب العالمية في تنمية البيئة العمرانية ،ص1.

[18] د.طارق بركات، مرجع سبق ذكره، ص78.

[19] ريمان محمد ريحان حسن ، مرجع سبق ذكره ص3.

[20] www.univ-chlef.dz.com-dic-200-5- محمد خليفة ، اشكالية التنمية والحكم الراشد في الجزائر ، مقال نشر عبر الموقع الالكتروني.